

الملائكة والسيّاطين
المحاضرة ٤: الملائكة الخدام
أ.ر. سي. سرول

إِحْدَى قِصَصِ الْمَلَائِكَةِ الْمُفْضَلَةِ لَدَيَّ فِي كُلِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَرَدَتْ فِي سَفَرِ الْمُلُوكِ الثَّانِي. وَتُعْجِبُنِي هَذِهِ الْقِصَّةُ بِالذَّاتِ لِأَنَّهَا تَعَكِّسُ، بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ وَعَبْرٍ مُبَاشِرٍ، أُمُورًا كَثِيرَةً نَحْتَاجُ أَنْ نَفْهَمَهَا عَنْ طَبِيعَةِ وَوَضِيقَةِ الْمَلَائِكَةِ. إِذْنًا، لِنَقْضِ بَعْضَ الْوَقْتِ فِي تَنَاوُلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي أَيَّامِ الْيَسَعِ النَّبِيِّ. فِي سَفَرِ الْمُلُوكِ الثَّانِي، بَدَأَ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٦١، وَالآيَةِ ٨:

وَأَمَّا مَلِكُ أَرَامَ فَكَانَ يُحَارِبُ إِسْرَائِيلَ، وَتَأَمَّرَ مَعَ عَبِيدِهِ قَائِلًا: "فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِيِّ تَكُونُ مَحَلَّتِي". فَأَرْسَلَ رَجُلًا إِلَى اللَّهِ إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ: "احْذَرُ مِنْ أَنْ تُعْبِرَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّ الْأَرَامِيِّينَ حَالُونَ هُنَاكَ". فَأَرْسَلَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ عَنْهُ رَجُلُ اللَّهِ وَحَذَرَهُ مِنْهُ وَتَحَفَّظَ هُنَاكَ، لَا مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ.

نَرَى هُنَا أَنَّ مَلِكَ أَرَامَ كَانَ يُجَاوِلُ عَمَلِ كَمِينٍ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ. لَكِنْ بِطَرِيقَةٍ مَا، كُلُّ الْخُطَطِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا مَلِكُ أَسُورَ -بَلْ مَلِكِ أَرَامَ- أَفْشَى سِرِّهَا لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَتَجَنَّبَ الْفَخَّ. وَنَقْرًا فِي الْآيَةِ ١١: "فَاضْطَرَبَ قَلْبُ مَلِكِ أَرَامَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَدَعَا عَبِيدَهُ وَقَالَ لَهُمْ: "أَمَّا تُخْبِرُونَنِي مَنْ مِنَّا هُوَ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ؟" فَقَدْ افْتَرَضَ تَلْقَائِيًا وَجُودَ جَسُوسٍ فِي الْمُعْسَكَرِ، فَحَقَّقَ فِي الْأَمْرِ". فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِهِ: "لَيْسَ هَكَذَا يَا سَيِّدِي الْمَلِكِ. وَلَكِنَّ الْيَسَعَ النَّبِيَّ الَّذِي فِي إِسْرَائِيلَ، يُخْبِرُ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بِالْأُمُورِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِهَا فِي مُخَدَعِ مِضْطَجَعِكَ". فَقَالَ: "اذْهَبُوا وَانظُرُوا أَيْنَ هُوَ، فَأَرْسَلْ وَأَخْذَهُ". فَأَخْبَرَ وَقِيلَ لَهُ: "هُوَذَا هُوَ فِي دُوثَانَ".

تَحَيَّلُوا الْمَشْهَدَ. اكْتَشَفَ مَلِكُ أَرَامَ أَنَّ لَا أَحَدَ مِنْ رِجَالِهِ يُخُونُهُ، وَإِنَّمَا مُحْطَطَاتُهُ تَصِلُ بِشَكْلِ خَارِقٍ لِلطَّبِيعَةِ بِوَسِطَةِ الْيَسَعِ النَّبِيِّ إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. وَلِذَا، غَيَّرَ مَلِكُ أَرَامَ خُطَّتَهُ. "إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَنْجَحَ فِي أَسْرِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ هُوَ التَّخَلُّصُ مِنَ الْيَسَعِ هَذَا". فَاسْتَفْسَرَ عَنْ مَوْضِعِ إِقَامَةِ الْيَسَعِ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّ الْيَسَعَ فِي دُوثَانَ. فَعَزَمَ عَلَى تَنْفِيدِ خُطَّتِهِ بِأَسْرِ الْيَسَعِ.

ثُمَّ نَقْرًا فِي الْآيَةِ ١٤: "فَأَرْسَلَ إِلَى هُنَاكَ خَيْلًا وَمَرْكَبَاتٍ وَجَيْشًا ثَقِيلًا، وَجَاءُوا لَيْلًا وَأَحَاطُوا بِالْمَدِينَةِ. فَبَكَرَ خَادِمُ رَجُلِ اللَّهِ وَقَامَ وَخَرَجَ، وَإِذَا جَيْشٌ مُحِيطٌ بِالْمَدِينَةِ وَخَيْلٌ وَمَرْكَبَاتٌ. فَقَالَ غُلَامُهُ لَهُ: "أَهْ يَا سَيِّدِي! كَيْفَ نَعْمَلُ؟" خَلَدَ الْيَسَعُ إِلَى التُّومِ فِي مَوْضِعِ إِقَامَتِهِ الْبَسِيطِ فِي دُوثَانَ، وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ غُلَامُهُ صَبَاحًا، وَدَهَبَ لِفَتْحِ السَّتَائِرِ لِيُضِيءَ

الْمَكَانَ، نَظَرَ خَارِجًا إِلَى أَحَدِ جَوَانِبِ الْبَيْتِ، فَرَأَى كُلَّ مَرْكَبَاتِ الْأَرَامِيِّينَ وَجُنُودِهِمْ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْبَيْتِ، وَلَمْ يَرَ إِلَّا مَرْكَبَاتٍ، فَتَقَدَّمَ لِلْأَمَامِ وَرَجَعَ إِلَى الْوَرَاءِ. يُدَكِّرُنِي ذَلِكَ بِقِصَّةِ ثُونْتُو وَالْحَارِسِ الْوَحِيدِ، عِنْدَمَا أَحَاطَ بِهِمَا الْهُنُودُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقَالَ الْحَارِسُ الْوَحِيدُ لثُونْتُو: "مَاذَا نَفَعَلُ الْآنَ؟" فَأَجَابَ ثُونْتُو: "مَاذَا تَقْصِدُ بِنُورِ الْجَمْعِ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ؟"

هَذَا مَا أَتَخَيَّلُ حُدُوثَهُ هُنَا نَوْعًا مَا، حِينَ رَأَى خَادِمُ الْيَسَعِ هَذَا الْحَيْشَ مُحِيطًا بِالْبَيْتِ الصَّغِيرِ الَّذِي كَانَا فِيهِ. فَاسْرَعَ وَأَيَّقِظَ الْيَسَعَ وَأَظْلَعَهُ عَلَى الْوَضْعِ - أَيُّ عَلَى الْوَرْطَةِ. وَقَالَ: "نَحْنُ مُحَاطُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِمَرْكَبَاتٍ وَجُيُوشٍ. مَاذَا سَنَفْعَلُ؟" اسْمَعُوا رَدَّ الْيَسَعَ. "فَقَالَ: لَا تَخَفْ، لِأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ". إِذَا أَمْكَنَّا الْقِرَاءَةَ بَيْنَ السُّطُورِ هُنَا، سَيَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ خَادِمَ الْيَسَعَ ذُهِلَ تَمَامًا مِنْ رَدِّ الْيَسَعَ. "لَسْتُ تَفْهَمُ يَا سَيِّدِي، أَخْبَرْتُكَ لِلتَّوْبَةِ بِأَنَّهُ يُوجَدُ عَدَدٌ لَا يُحْصَى مِنَ الْجُنُودِ وَالْمَرْكَبَاتِ مِنْ حَوْلِنَا. انظُرْ حَوْلَكَ يَا الْيَسَعَ. لَا يُوجَدُ هُنَا سِوَانَا. مَاذَا تَقْصِدُ بِقَوْلِكَ إِنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ؟"

وَصَلَّى الْيَسَعَ وَقَالَ: "يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ". فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنِي الْعُلَامِ فَأَبْصَرَ، وَإِذَا الْجَبَلُ مَمْلُوءٌ خَيْلًا وَمَرْكَبَاتٍ نَارٍ حَوْلَ الْيَسَعَ. وَلَمَّا نَزَلُوا إِلَيْهِ صَلَّى الْيَسَعَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: "اضْرِبْ هَؤُلَاءِ الْأُمَّمَ بِالْعَمَى". فَضْرَبَهُمُ بِالْعَمَى كَقَوْلِ الْيَسَعَ.

كَمَا قُلْتُ قَبْلًا، ثَمَّةُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ نَتَعَلَّمُهَا مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ بِالذَّاتِ. يَتَعَلَّقُ أَمْرٌ مِنْهَا بِجَدَلٍ دَائِرٍ بَيْنَ اللَّاهُوتِيِّينَ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، لِأَنَّهُ حِينَ طَلَبَ يَسُوعُ مِنْ تَلَامِيذِهِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَلَّا يَمْنَعُوا الْأَوْلَادَ الصِّغَارَ مِنَ الْمَجِيءِ إِلَيْهِ، بَلْ يَسْمَحُوا لَهُمْ بِالِاقْتِرَابِ، قَالَ: "لِأَنَّ لِيثَلِ هَؤُلَاءِ مَلَكَوتَ اللَّهِ"، ثُمَّ تَابَعَ لِأَحَقًّا لِيَقُولَ إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ يَحْرُسُونَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ. وَالْفِكْرَةُ الَّتِي اسْتُخْلِصَتْ مِنْ هَذَا التَّصْرِيحِ لِرَبَّنَا هِيَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي الْمَلَكَوتِ - كُلُّ مُؤْمِنٍ - لَدَيْهِ مَلَائِكَةُ حَارِسٌ مُعَيَّنٌ لِأَجْلِهِ لِلِاعْتِنَاءِ بِهِ. هَذَا أَيْضًا لِأَنَّهُ، كَمَا سَتَرَى بَعْدَ قَلِيلٍ، يُخْبِرُنَا كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ بِأَنَّ وَظِيفَةَ الْمَلَائِكَةِ الرَّئِيسِيَّةِ، فِي هَذَا الْعَالَمِ، هِيَ خِدْمَةُ شَعْبِ اللَّهِ. لِذَا كَمَا ذَكَرْتُ، ثَمَّةُ تَقْلِيدٌ رَاسِخٌ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ يُفِيدُ بِأَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَائِكَةً مُخَصَّصًا لَهُ. يُشَبِّهُ هَذَا فِيلِمَ "It's a Wonderful Life". وَ"كُلَّمَا سَمِعْتَ رَيْنِينَ جَرَّيسَ، يَحْضُلُ مَلَائِكَةٌ عَلَى جَنَاحَيْنِ؛ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

لَكِنَّا نَكْتَشِفُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَلَائِكَةٌ وَاحِدَةٌ يَحْرُسُ الْيَسَعَ، بَلْ احْتَشَدَ الْجُنْدُ السَّمَائِيُّ كُلُّهُ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ الْحَرِجِ. نَرَى الْأَمْرَ دَاتَهُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، فِي جَمَاهِيرِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي رَافَقَتْ خِدْمَةَ يَسُوعَ. وَسَنَنْتَرِقُ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ قَلِيلٍ. لَكِن لِنَرَ الْآنَ جَمَاهِيرَ الْمَلَائِكَةِ الْمُرْسَلِينَ لِلدِّفَاعِ عَنِ الْيَسَعَ.

في بداية هذه السلسلة، رويت قصة إنقاذ عاملي منجم ظلاً تحت الأرض لعدة أيام، ثم شهدا عني اغتناء ملائكة بهما. وهكذا فسراً نجاتهما. تذكرون تلك القصة، وكيف افترضت وسائل الأعلام تلقائياً أنهما يهذيان. والافتراض السائد في العالم العلماني الذي نعيش فيه هو أن كل من يرى ملاكاً لا بد من أنه تراوده، بالطبيعة، هلاوس.

والهلوسة تحدث حين يرى أحدهم أشياء غير موجودة فعلاً. وذكرت أن روديولف بولتمان قال إنه لا يمكنك العيش في مجتمعنا المتطور وتظل تؤمن بالأشباح، والنفاريت، والغيبيات المخيفة، والأشياء غير المرئية، كالملائكة.

لكن في لب الإيمان اليهودي-المسيحي يكمن إيمان راسخ بما هو فائق للطبيعة يقول إن الواقع به أكثر مما نراه بأعيننا. فالله نفسه غير منظور، لكن ما من أمر أهم للمسيحية من حقيقة وجود الله. وما يجعل من الصعب علينا أن نكون أمناء لله، برأيي، هو أنه غير منظور. ومن الصعب أن تعبد ما لا يمكنك أن تراه، وأن تطيع شخصاً لم تكلمه قط، إلى آخره.

لكن الأمر ذاته يمكن أن ينطبق على الملائكة. فهم غير منظورين معظم الوقت. وأحياناً عبر التاريخ الكتابي، كما قرأنا عن زائري سدوم وغير ذلك، يظهر الملائكة، عادة في هيئة بشر. لكن في الظروف العادية، هم كائنات روحية. هم حقيقيون، وهم مخلوقات. فهم كائنات روحية غير منظورة. وإن كنا نصدق حقاً رسالة الإيمان المسيحي، علينا أن نذكر أن هذا جزء لا يتجزأ من تلك الرسالة - وهو أن الواقع الذي نعيش فيه يحوي أكثر مما نراه بأعيننا.

يجب ألا يكون هذا غريباً علينا، نحن الذين نعيش بعد عصر التنوير، ونعيش بعد اختراع التليسكوب، وبعد اختراع المجهري، لأن الثورة العلمية للعصر الحديث حدثت حين تزايد وتعرّز إدراكنا للواقع بفضل الأجهزة التي مكنتنا من رؤية أشياء لا ترى بالعين المجردة. من بين الأزمان في أيام جاليليو أن علماء عصره، والأسقف آنذاك، رفضوا النظر عبر التليسكوب، لأنهم لم يريدوا أن يصدقوا الأدلة التي يكشفها التليسكوب عن تقسيم السماوات ومدارات الكواكب. واكتشفوا أن الثورة بأكملها - التي نسميها الثورة الكوبرنيكية - كانت ثورة في العلم ناتجة عن قدرة مفاجئة على رؤية ما كان غير مرئي سابقاً. وإن كانت تلك الثورة حدثت بظهور التليسكوب، فكذلك بالحري تلك الثورة التي حدثت في عصرنا، بظهور المجهري - وعلم الميكروبيولوجيا - وبها عرفنا أنه في هذه الغرفة، بينما أتكلّم، توجد كائنات حقيقية كافية للقضاء علينا جميعاً. وإن أمكننا أن نراها بالعين المجردة، قد يصيبنا الرعب. لكن لحسن حظنا، نحن نعيش في هناء، غافلين تماماً عن الأعداد التي لا تحصى من الميكروبات القادرة على قتلنا. فإن استطعنا أن نراها كلها، ربّما نلزم الفراش، محتبئين تحت الأغطية لبقية أيام حياتنا.

لَكِنَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ خِلَالِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ تُوجَدُ حَقَائِقُ حَوْلَنَا تَتَجَاوَرُ قُدْرَتَنَا عَلَى رُؤْيَيْهَا. فَلِمَاذَا نُصَدِّقُ أَنَّ الْمَيْكْرُوبَاتِ الَّتِي لَا نَقْدِرُ أَنْ نَرَاهَا مَوْجُودَةً حَقًّا، بَيْنَمَا لَدَيْنَا تَحِيْرٌ ضَدَّ وُجُودِ كَائِنَاتِ سَمَاوِيَّةٍ فَائِقَةٍ لِلطَّبِيعَةِ - كَائِنَاتِ رُوحِيَّةٍ - كَالْمَلَائِكَةِ، فِي حِينِ أَنْ نُصَوِّصَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ حَافِلَةً بِهَا؟ هَذَا أَحَدُ الْأُمُورِ الَّتِي تُعْجِبُنِي فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَهُوَ أَنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرَى مَا كَانَ مَوْجُودًا بِالْفِعْلِ إِلَى أَنْ صَلَّى أَلَيْشَعُ قَائِلًا: "يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ لِئَبْصَرَ" - لَيْسَ "دَعُهُ يَرَى هَلَاوَسَ"، وَلَا "دَعُهُ يَرَى رُؤْيَا لِشَيْءٍ غَيْرِ حَقِيقِيٍّ"، بَلْ "دَعُهُ يَرَى مَا هُوَ مَوْجُودٌ حَقًّا". وَحِينَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ، كَانَتْ جَبُوشُ الْمَلَائِكَةِ الْمُحْتَشِدَةُ تَفُوقُ كَثِيرًا فِي الْعَدَدِ وَالْقُوَّةِ كُلِّ مَرَكَبَاتِ مَلِكِ أَرَامَ وَجَبُوشِهِ. وَهَذَا مَا يُخَيِّرُنَا بِهِ اللَّهُ عَنِ الْعَالَمِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ.

وَقَعَتْ حَادِثَةٌ مُمَاتِلَةٌ أَرَى أَنَّهَا تَكْشِفُ الْكَثِيرَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَالْغَرِيبُ أَنَّهَا حَدَّثَتْ أَثْنَاءَ تَجْرِبَةِ يَسُوعَ. فَبَعْدَ مَعْمُودِيَّةِ يَسُوعَ مُبَاشَرَةً، افْتَادَهُ الرُّوحُ إِلَى بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ لِيَجْرَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَتَعَلَّمُونَ كَيْفَ جَاءَ الشَّيْطَانُ، وَأَوْحَى لِيَسُوعَ بِأَنَّهُ رَبُّمَا لَيْسَ حَقًّا ابْنُ اللَّهِ، مَعَ أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْأَخِيرَةَ الَّتِي سَمِعَهَا يَسُوعُ قَبْلَ ذَهَابِهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَانَتْ الصَّوْتِ مِنَ السَّمَاءِ: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ". وَهَكَذَا، جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِ، تَمَامًا كَمَا جَاءَ إِلَى آدَمَ، قَائِلًا: "أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ؟" "إِنْ كُنْتُ ابْنُ اللَّهِ، وَكُنْتُ جَائِعًا، حَوَّلْ هَذِهِ الْحِجَارَةَ إِلَى خُبْزٍ". كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ تَجْرِبَةٍ، وَكَانَ رَدُّ يَسُوعَ: "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ". أَنَا صَائِمٌ، وَأَجْتَازُ فِي امْتِحَانٍ، مَعْدِرَةٌ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، لَكِنِّي لَنْ أَحَوَّلَ هَذِهِ الْحِجَارَةَ إِلَى خُبْزٍ. بِإِمْكَانِي فِعْلُ ذَلِكَ، لَكِنِّي لَمْ أَخْذِ الْإِذْنَ مِنْ أَبِي، لِذَا ابْتَعِدْ عَنِّي". وَرَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ بِنَصِّ كِتَابِيٍّ.

ثُمَّ فِي وَسْطِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ، بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِالرَّدِّ عَلَى يَسُوعَ أَيضًا بِنُصُوصِ كِتَابِيَّةٍ. فَقَالَ: "دَعْنِي أَصْحَبُكَ إِلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلِ، لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ، لِئَلَّا تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. لِتَرَ إِذْنًا إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، لِتَرَ إِنْ كُنْتُ حَقًّا ابْنُ اللَّهِ. لِتَضَعْدَ إِلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَتُلْقَ بِأَنْفُسِنَا، وَتَرَ إِنْ كَانَ الْمَلَائِكَةُ سَيَحْمِلُونَا". كَانَ عَلَى يَسُوعَ أَنْ يُصَحَّحَ تَفْسِيرَ إِبْلِيسَ وَيَقُولَ: "أَجَلْ، يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ ذَلِكَ، لَكِنِ عَلَيْنَا تَفْسِيرُ الْمَكْتُوبِ بِالْمَكْتُوبِ. وَعَلَيْنَا أَلَّا تُنَاقِضَ الْمَكْتُوبُ بِالْمَكْتُوبِ، لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ أَيضًا: "لَا تُجْرَبِ الرَّبُّ إِلَهَكَ". لِذَا، شُكْرًا جَزِيلًا، لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ".

وَحِينَ انْتَهَتْ سِلْسِلَةُ التَّجَارِبِ، نَقَرْنَا مَا يَكَادُ يَكُونُ حَاشِيَةً خِتَامِيَّةً غَابِرَةً، أَنَّهُ بَعْدَمَا فَارَقَ الشَّيْطَانُ يَسُوعَ إِلَى حِينِ، مَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ جَاءَ الْمَلَائِكَةُ لِيَخْدُمُوا يَسُوعَ. كَانُوا هُنَاكَ طَوَالَ الْوَقْتِ. يَدْفَعُنَا هَذَا أَنْ نَتَسَاءَلَ إِذَا كَانَ قَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَاهُمْ، مِثْلَ أَلَيْشَعِ. لَكِنَّ اللَّهُ أَوْصَى مَلَائِكَتَهُ بِهِ، وَجَاءَ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ فِي وَسْطِ تِلْكَ التَّجْرِبَةِ الْحَرْجَةِ مِنْ حَيَاتِهِ. وَبَعْدَ رَجِيلِ الْمَلَائِكِ السَّاقِطِ مُبَاشَرَةً، جَاءَ جُنْدُ السَّمَاءِ، وَخَدَمُوا يَسُوعَ.

وَمِنَ اللَّافِتِ أَنَّ هَذَا الْجُنْدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رَافَقُوا يَسُوعَ مِرَارًا خِلَالَ حَيَاتِهِ - لَيْسَ فَقَطْ عِنْدَ إِعْلَانِ مِيلَادِهِ، وَهُوَ مَا سَتَتَنَاوَلُهُ عَلَى جِدَةٍ، بَلْ أَيْضًا عِنْدَ قِيَامَتِهِ. فَحِينَ جَاءَ التَّلَامِيذُ، وَجَاءَتِ النِّسْوَةُ، إِذَا بِمَلَائِكَيْنِ فِي الْبُسْتَانِ - وَاحِدٌ عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرُ عِنْدَ الرَّجْلَيْنِ، وَقَالَا: "الَّذِي تَظَلُّبَانِهِ لَيْسَ هُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ، وَهَذَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ". فَمَلَاكَ اللَّهِ، اللَّذَانِ قَامَا بِدَوْرِ الرُّسُلِ هُنَا كَانَا بِالطَّبْعِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ حَارِسَيْنِ لِلْقَبْرِ. فَقَدْ كَانَا يَحْرُسَانِ جَسَدَ يَسُوعَ - وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا أَكْثَرَ عَمَلٍ حَسَّاسٍ قَامَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ عَبْرَ تَارِيخِ الْفِدَاءِ بِرُمَّتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَضَى بِالْأَبْلِ يَرَى تَقِيَّهُ فَسَادًا. وَلِهَذَا أَقَامَ الْمَلَائِكَيْنِ عِنْدَ الْقَبْرِ. كَمَا رَافَقَ الْمَلَائِكَةُ الْمَسِيحَ فِي صُعودِهِ إِلَى السَّمَاءِ، حِينَ ذَهَبَ إِلَى حَفْلِ تَتَوَجَّهَ بِصِفَتِهِ مَلِكِ الْمُلُوكِ. وَهُوَ قَالَ إِنَّهُ حِينَ يَعُودُ فِي نَهَايَةِ الزَّمَانِ، سَيُرَافِقُهُ جُنْدُ السَّمَاءِ، جُنْدُ السَّمَاءِ نَفْسُهُ الَّذِي ظَهَرَ فِي حُقُولِ بَيْتِ لَحْمٍ، عِنْدَ إِعْلَانِ مِيلَادِ يَسُوعَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ.

مُجَدِّدًا، يَجِبُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ هَذَا. لَسْتُ أَعْرِفُ بِشَأْنِكُمْ. لَكِنْ حِينَ أَتَمَّلُ فِي الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ خِلَالَ حَيَاةِ يَسُوعَ، وَكَيْفَ أَنَّ التَّلَامِيذَ - أَوْ عَلَى الْأَقْلَ بَعْضَهُمْ - كَانُوا شُهُودَ عِيَانٍ عَلَى جَمِيعِهَا تَقْرِيْبًا، أَسْأَلُ نَفْسِي: "إِذَا أَمَكَّنَ أَنْ أَكُونَ شَاهِدَ عِيَانٍ عَلَى حَدَثٍ فِي حَيَاةِ يَسُوعَ، فَأَيُّ حَدَثٍ سَأُحْتَارُ؟ أَيُّ حَدَثٍ سَأُرْعَبُ بِأَنْ أَرَاهُ بِعَيْنِي؟" وَهَذَا سُؤَالٌ صَعْبٌ حَقًّا. فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنِّي سَأَسُرُّ بِمُعَايِنَةِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قَدْ لَا يَرْعَبُ فِي ذَلِكَ؟ سَيَكُونُ ذَلِكَ رَائِعًا. لَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ أُحْتَارَ بَيْنَ الْقِيَامَةِ وَالتَّجَلِّيِّ - أَنْ أَرَى هَذَا الْإِنْبِثَاقَ لِمَجْدِ الْمَسِيحِ عَبْرَ حِجَابِ نَاسُوتِهِ، حِينَ تَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ. لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ هَذَا كَانَ مُذْهِلًا. وَالتَّلَامِيذُ لَمْ يَنْسُوا ذَلِكَ قَطُّ، بَلْ ظَلُّوا يَتَكَلَّمُونَ عَنْهُ: "وَرَأَيْنَا مُجَدَّهُ".

لَكِنْ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمُمَيَّزَةِ حَقًّا - مِنْ أَهَمِّهَا - وَخَيَالِي يَجْمَعُ الْآنَ لِأَيِّ زُرْتُ مَكَانَ وَقُوعِهِ. أَتَذَكَّرُ حِينَ زُرْنَا بَيْتَ لَحْمٍ، وَذَهَبْنَا إِلَى كَنِيسَةِ الْمَهْدِ، وَدَخَلْنَا الْكَنِيسَةَ، وَجَلْنَا جَوْلَةَ إِرْشَادِيَّةً. لَمْ يَثْرُ كُلُّ ذَلِكَ حَمَاسِي حَقًّا. فَانْفَصَلْتُ عَنِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي تَقُومُ بِالْجَوْلَةِ السِّيَاحِيَّةِ، وَخَرَجْتُ بِمُفْرِدِي إِلَى حَافَةِ الْكَنِيسَةِ، وَكَانَ هُنَاكَ سُورٌ حَجْرِيٌّ صَغِيرٌ وَبِدَائِيٌّ. فَجَلَسْتُ عَلَى السُّورِ، وَهُوَ يُطَّلُ عَلَى السُّهُولِ الشَّاسِعَةِ الْمُنْبَسِطَةِ، الَّتِي كَانَتْ هِيَ حُقُولَ بَيْتِ لَحْمٍ. وَتَرَكْتُ خَيَالِي يَجْمَعُ. جَلَسْتُ هُنَاكَ وَقُلْتُ: "تَحْيَلُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، حَالِكَةَ السَّوَادِ، رُبَّمَا مَعَ الْقَلِيلِ مِنْ نَارِ مُخَيِّمٍ، تَتَوَهَّجُ عَبْرَ الظُّلْمَةِ، وَهُوَ لَأَيُّ الرِّعَاةِ جَالِسُونَ حَوْلَهَا، يُحَاوِلُونَ الْإِسْتِدْفَاءَ، وَحِرَاسَةَ فُطْعَانِهِمْ، وَفَجَاءَتْ سَطَعَتِ السَّمَاءِ بِرَبِيقِ مَجْدِ اللَّهِ، وَبَدَأَ جُنْدُ السَّمَاءِ يُنْشِدُونَ عَنْ مِيلَادِ الْمَسِيحِ. لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ ذَلِكَ، لَقُلْتُ مِثْلَ سَمْعَانَ: "الآنَ تُطَلِّقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ بِسَلَامٍ. فَقَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا أَحْتَاجُ أَنْ أَرَاهُ. وَالْأَمْرُ رَائِعٌ".

حَضَرَ الْمَلَائِكَةُ - لَيْسَ فَقَطْ عِنْدَ تَأَلُّمِ يَسُوعَ، بَلْ فِي مَجْدِهِ أَيْضًا. فَقَدْ رَافَقُوهُ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ مَجْدِهِ، وَفِي مُعْجَزِهِ، وَهِيَ أُمُورٌ تَأَقُّ الْقَدِيدُونَ الْعُظَمَاءَ إِلَى الْإِطْلَاقِ عَلَيْهَا، لَكِنَّهَا أُعْطِيَتْ لِقَلِيلِينَ فَقَطْ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ. إِذَنْ، بِمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُظْهِرُونَ مَجْدَ اللَّهِ، إِذَا فَقَطْ حِينَ يَكُونُ مَجْدُ اللَّهِ مُتَّجِبًا فِي مُجْتَمَعٍ مَا أَوْ فِي الْكَنِيسَةِ، يُنْبِذُ الْمَلَائِكَةُ

باعتبارهم عديبي الأهميَّة. لَكِنْ حَيْثُمَا يُكْرَمُ مَجْدُ اللَّهِ، وَحَيْثُمَا يُرْفَعُ مِنْ شَأْنِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، يُرَافِقُ تِلْكَ اللَّحَظَاتِ - فِي الْمَاضِي وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ - جُنْدُ السَّمَاءِ، الَّذِينَ هُمْ بِمَثَابَةِ حُرَّاسِ مَوْكِبِ الْمَلِكِ.

الدُّكْتُورُ آر. سي. سِنُورُول هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيَر، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدَيْسِ أَنْدُرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْد بِوَلَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهُوتِيُونَ" و"أَدَهَشَنِي الْأَلَمُ".